

أ. عبدالرحمن بن سلمان الصاعدي¹
Abdulrahman Salman Al-Saedi

د. الوليد نور الهدى كنة²
Dr. Elwalied Nour Alhuda Kanna

(1)(2) الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Islamic University of Madinah

المخلص

الزراعية وتنوعها على قيام حركة التبادل التجاري، حيث أن المجتمع المدينة قبل الإسلام كان مجتمع زراعي بالدرجة الأولى، كما أن المدينة كانت لها نشاطات تجارية وصناعية محدودة وترتبط بالزراعة إلى حد بعيد، وأن الصناعة والأسواق التجارية كانت مرتكزة بيد اليهود، حيث كانت لليهود السيطرة والتفوق الاقتصادي على النشاط بالمدينة، أوصت الدراسة بتعزيز دراسة التاريخ الإسلامي من الناحية الاقتصادية بشكل أكثر عمقاً، والاستفادة منه في الوقت الحاضر، كما أوصت بتصميم مسارات سياحية تبرز المواقع الاقتصادية القديمة مثل الأسواق، واستلهم من النموذج التاريخي في تقليل الأزمات الاقتصادية بناء على دروس من تاريخ المدينة، كذلك أوصت الدراسة، بإحياء الحرف التقليدية كجزء من التراث الخاص بالمدينة المنورة.

الكلمات الدالة: الحالة الاقتصادية، المدينة المنورة، الصناعات، الحرف.

تسعى هذه الدراسة لتسليط الضوء على الجوانب الاقتصادية للمدينة المنورة قبل الإسلام، من خلال ما اشتهرت به من الموقع الجغرافي وأثر الموقع على خطوط القوافل التجارية التي تمر بها، ويرصد البحث في شقه الثاني جانب من الصناعات والحرف التي قامت بالمدينة مثل الزراعة والتجارة، النجارة، والجزارة والدباغة، والخياطة، والحدادة، والبناء، والصياغة، والتعدين. كذلك التعرف على أهم الأسواق التجارية التي كانت قائمة آنذاك. استخدمت الدراسة المصادر التاريخية-الحديث والسيرة وغيرها من الأعمال التاريخية- لاستخلاص المعلومات حول كيفية حصول أهل المدينة على رزقهم من خلال الحرف والتجارة في الأسواق.

تمثلت أبرز نتائج الدراسة في أن الموقع الجغرافي للمدينة كان له دور كبير في السيطرة خطوط تجارة القوافل التي تمر بها قديماً، وخصوصاً بين اليمن جنوباً والشام شمالاً، كما أوضح البحث أهمية الزراعة كركن اقتصادي ومورد أساسي في المدينة وشجع نجاح زراعة المحاصيل

Abstract

This study seeks in its first section to shed light on the economic aspects of Madina before Islam, and the impact of its geographical location on the trade caravan routes that passed through it. The second part of the study examines the occupations and crafts that flourished in the city, such as agriculture, trade, carpentry, butchery, tanning, tailoring, blacksmithing, construction, goldsmithing, and digging a gold mine. It also explores the most important commercial markets that existed at that time. The study used historical sources—Hadith, Sira, and other historical works—to extract information about how the people of Madina earned their livelihood through crafts and trade in the markets. Main findings were that the city's geographical location played a significant role in controlling the caravan trade routes that passed through it in ancient times, especially between Yemen in the south and the Levant in the north. The study also demonstrated the

importance of agriculture as an economic pillar and a primary resource in Medina. The success and diversity of agricultural crop cultivation encouraged trade activity. Furthermore, the city had limited commercial and industrial activities, largely linked to agriculture. Industry and commercial markets were concentrated in Jewish hands, as Jews controlled and dominated the city's economic activity. The study recommended promoting a more in-depth study of Islamic history from an economic perspective and utilizing it in the present. It also recommended designing tourist itineraries that highlight ancient economic sites, such as markets, and drawing inspiration from historical models to mitigate economic crises based on lessons from Madina's history. The study also recommended reviving traditional crafts as part of Madina's heritage.

Keywords: economic life, Madina, occupations, crafts

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

شكلت الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة منعطفاً حاسماً في مسار التاريخ الإسلامي، وذلك نظراً لما أسست له من تحولات عميقة وجذرية في الحياة العامة لمجتمع المدينة المنورة، الذي تشكلت فيه النواة الأولى لكيان الدولة الإسلامية الرشيدة، فكان لا بد من الوقوف على الحياة الاقتصادية للمدينة قبل الهجرة النبوية. لما فيها من التأثير على الحياة الاقتصادية لما بعد الهجرة النبوية. تسعى هذه الدراسة لتسليط الضوء على الجوانب الاقتصادية للمدينة المنورة من خلال ما اشتهرت به من الموقع الجغرافي وأثر ذلك على الصناعات والحرف في المدينة، وخطوط القوافل التجارية التي تمر بها، وأثر التنوع السكاني على الأنشطة الاقتصادية، كذلك التعرف على أهم الأسواق التجارية التي كانت قائمة آنذاك، لما في ذلك من أهمية معتبرة في سياق البحث العلمي الذي يهدف إلى التتقيب في الجذور التاريخية للنظام الاقتصادي الإسلامي، ولهذا كان موضوع البحث متعلقاً بـ: "جوانب من الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة قبل الإسلام".

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال الآتي:

الأهمية النظرية:

- 1- ترتبط أهمية هذا البحث بأهمية الفترة التي يتعلق بها موضوعه، حيث كانت الحياة الاقتصادية بالمدينة قبل الإسلام، الحاضنة الأساسية للتغيير الذي جاء به الإسلام، وبداية تكوين النظام الاقتصادي الإسلامي بتشريعاته وتطبيقاته المؤيدة بالقرآن الكريم، من حيث ضبط وتوجيه السلوك الاقتصادي الفردي والجماعي ترسيخاً للقيم والقواعد الحاكمة للممارسات في الأنشطة الاقتصادية وما يرتبط بها من سلوكيات.
- 2- الحاجة إلى دراسة الجانب الاقتصادي للمدينة المنورة بشكل أكثر عمقاً واتساعاً، كونها ارتبطت أساساً بعملية البناء الفعلي والعملي لأركان وأسس الاقتصاد الإسلامي ونظامه وتطبيقاته الأصلية.
- 3- قد يسهم البحث في إثراء المكتبة العلمية الخاصة بالدراسات المتعلقة بالسيرة النبوية، ويفيد منه الباحثون والدارسون والمهتمون بهذا المجال.

الأهمية التطبيقية:

تتمثل في إمكانية الاستفادة من تكشف عنه الدراسة من أبعاد وآثار اقتصادية، ترتبط بالوقائع التاريخية للمدينة المنورة، مما يعد إضافة بسيطة ومفيدة للمجال الأكاديمي.

مشكلة البحث:

يلاحظ على الكثير من الدراسات المتعلقة بالمدينة المنورة قبل الإسلام، رغم كثرتها وتنوعها، قلة الدراسات المتعلقة بالجانب الاقتصادي فيها، لذا فإن هذه الدراسة تعمل على الكشف بشكل أعمق عن الأبعاد والآثار الاقتصادية التي ارتبطت بالمدينة المنورة وماهي الأنشطة الاقتصادية التي كانت بها؟ ويمكن بلورة مشكلة البحث في السؤال الرئيسي الآتي:

ما أهم جوانب الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة قبل الاسلام؟

وللإجابة عن هذا السؤال الرئيسي، يلزم الإجابة على الأسئلة الفرعية الآتية:

- 1- ما الأوضاع الاقتصادية التي كانت سائدة في المدينة المنورة قبل الإسلام؟
- 2- ما أثر الموقع الجغرافي للمدينة المنورة في الحياة الاقتصادية بها؟
- 3- ما هو المكون السكاني للمدينة المنورة؟
- 4- ما الحرف والأنشطة الاقتصادية التي اشتهرت بها المدينة المنورة قبل الإسلام؟
- 5- كيف انعكست الآثار الاقتصادية للغزوات على مالية الدولة الإسلامية؟

وعليه، تتمثل مشكلة البحث في دراسة بعض الجوانب الحياة الاقتصادية للمدينة المنورة قبل الإسلام.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الرئيسية التي تسهم في إبراز بعض الجوانب

من الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة قبل الاسلام، وذلك من خلال:

- 1- التعرف على الاحوال الاقتصادية للمسلمين في المدينة المنورة قبل الإسلام.
- 2- بيان الموارد الاقتصادية التي تتمتع بها المدينة المنورة.
- 3- التعرف على الأنشطة الاقتصادية في المدينة المنورة.
- 4- بيان الحرف والصناعات التي كانت موجودة بالمدينة المنورة قبل الاسلام.

الدراسات السابقة:

اطَّلَعَ الباحثان على عددٍ من الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع هذه الدراسة، وهي مُرتبةٌ حسب التاريخ على النحو التالي:

دراسة: أثر المهاجرين في الحياة الاقتصادية في العهد النبوي للدكتور عبدالعزيز بن عبدالله السالم مجلة الدرعية، السنة التاسعة، العدد الثالث والثلاثون، ربيع الأول 1427هـ، أبريل 2006م. هدفت الدراسة الى التعرف على أحوال المهاجرين ومعيشتهم وعلاقتهم بمجتمع المدينة، مع إبراز أهم الأعمال التي قاموا بها في عهد النبوة، حيث تناولت فيه الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت عليها المدينة عند بداية قدوم المهاجرين إليها، موضحاً فيه أحوال المهاجرين في المدينة وعملهم في التجارة التي شجّعهم الرسول ﷺ على العمل بها؛ لتنمية موارد المسلمين الاقتصادية، وذلك بحكم خبرتهم السابقة في مكة ومهارتهم في شؤونها، فعمل بها بعض المهاجرين الذين استطاعوا التوفيق بينها وبين الجهاد ونشر الدعوة.

وهو الهدف الأساس الذي هاجروا من أجله، ويبدو أن المهاجرين قد تمكنوا بعد مدة قصيرة من إقامتهم بالمدينة من الهيمنة على أسواقها التجارية؛ والسبب يعود إلى خبرتهم السابقة كما ذكرنا، وتطوّرت إلى موضوع الصناعات والحرف في المدينة التي تعتمد أساساً على مواردها الأولية من المنتجات الزراعيّة وغيرها؛ مثل: تجفيف التمور واستخدام سعف النخيل، وكذلك الصناعات التي تعتمد على المنتجات الحيوانية؛ كدباغة الجلود وإعداد الصوف وتنظيفه وصناعة النسيج، حيث عمل بعض أهل المدينة إلى جانب ذلك بعض الأعمال الأخرى مثل التعدين والنقش، وأيضاً مهنة الرعي وهي من الأعمال التي يمارسها أهل المدينة، ويبدو أن المهاجرين قد انقسموا إلى طبقتين: طبقة استطاعت الجمع بين العمل في التجارة للاكتساب منها وبين الجهاد في سبيل الله والتفقه في أمور الدين ومساعدة الرسول ﷺ في رعاية شؤون المسلمين.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسة الحالية: أن الدراسة السابقة هدفت الى التعرف على أحوال المهاجرين ومعيشتهم وعلاقتهم بمجتمع المدينة، مع إبراز أهم الأعمال التي قاموا بها في عهد النبوة، حيث تناولت الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت عليها المدينة عند بداية قدوم المهاجرين إليها، موضحاً فيه أحوال المهاجرين في المدينة وعملهم في التجارة التي شجّعهم الرسول ﷺ على العمل بها؛ لتنمية موارد المسلمين الاقتصادية.

ولم تتعرض الدراسة السابقة: للحياة الاقتصادية في المدينة المنورة ولم تتطرق للنشاط الاقتصادي بشيء من التفصيل بها قبل الهجرة النبويّة ﷺ.

دراسة: الأحوال الاقتصادية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، الباحث/ الأمين معاذ عثمان صالح، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، السودان، 2007.

عنيت هذه الدراسة بمناقشة الأحوال الاقتصادية للدولة في صدر الإسلام، وتناولت النشاط الاقتصادي للسكان والموارد العامة للدولة ونفقاتها بالاستناد على السياسة المالية الإسلامية، كما بينت الدراسة أن سوء أحوال الرعاية اقتصادياً قد بدأ يتحسن بالتدريج بداية بمغانم الغزوات والسريات التي كانت ترسل للعدو المحيط بمركز الدولة ثم بدأت الجزية في الوجود للدولة، ثم جاء المورد الأهم وهو الخراج من البلاد المفتوحة، وكان كبيراً في حجمه بحيث ساعد في وضع مرتبات لكل الرعاية وأخيراً جاءت عشور التجارة والتي تشير إلى استمرار التعامل التجاري بين المسلمين وغير المسلمين من تجار دار الحرب. وقد أدت كل هذه الموارد المستحدثة إلى خلق نوع من الرفاهية لإنسان الجزيرة العربية انعكس في مسكنه وأدواته وسلوكه الحياتي اليومي.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسة الحالية: اقتصرت على الأحوال الاقتصادية للدولة في صدر الإسلام، وتناولت النشاط الاقتصادي للسكان والموارد العامة للدولة ونفقاتها بالاستناد إلى السياسة المالية الإسلامية، كما بينت الدراسة أن سوء أحوال الرعاية اقتصادياً قد بدأ يتحسن بالتدريج بداية بمغانم الغزوات والسريات.

ولم تتعرض الدراسة السابقة: للنشاط الاقتصادي في المدينة المنورة قبل الهجرة وآثار الهجرة النبوية على النشاط الاقتصادي في المدينة المنورة ومعالجة النبي ﷺ للمشاكل الاقتصادية وكيفية تشجيع الأنشطة الاقتصادية بالإضافة إلى دراسة الأثر الاقتصادي للغزوات بشكل أكثر عمقاً لكل غزوة.

دراسة: الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة قبيل الهجرة وبعدها: دراسة مقارنة، شعبان، أحمد محمد (مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، 2009).

يُصور هذا البحث الملامح العريضة للحياة الاقتصادية في المدينة المنورة قبيل الهجرة، وبعدها، وما أحدثته الهجرة من نقلة نوعية في جميع جوانب الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة، حيث يُشير البحث إلى الأسباب التي أعاقَت سكان يثرب عن الانطلاق في اقتصاداتهم إلى الأسواق الدولية، ومدى تأثير الهجرة في التغلب عليها، بالإضافة إلى ذلك، فإنه يُحدد المعاملات التجارية الأكثر شهرة التي كانت سائدة بين سكان يثرب في فترة ما قبل الإسلام وتأثيرها السلبي على الاقتصاد المحلي، والتشريعات الحكيمة التي فرضها النبي ﷺ لاستئصال أسباب الفساد والغش والاستغلال، ثم يرصد الحركة الاقتصادية للمدينة في الشق الثاني من البحث ونموها إلى نهاية العهد النبوي، لرسم صورة عن الحياة الاقتصادية التي عاشها النبي ﷺ وصحابته خلال العشر سنوات، وقد عالج الباحث هذه القضية بالحديث عن الحياة الاقتصادية قبيل الهجرة، فتكلم عن خصائص المدينة الزراعية، مشيراً إلى أشهر

المزروعات فيها كالنخيل ، والشعير ، وبعض الفواكه والخضروات ، ثم تكلم عن تجارة سكان يثرب ، وكيفية ممارساتهم للبيع والشراء ، لينتقل بعدها للحديث عن تربية الماشية وما تتضمنه ، والصناعة بعرض أهم منتجاتها ، ثم يتحول إلى الحديث عن الحياة الاقتصادية في المدينة بعد الهجرة ، فيعرض للزراعة في العهد النبوي ، وما حدث فيها من تحولات ، ثم ينتقل إلى التجارة ، والصناعة ، وتربية الماشية ، وما حصل فيها من تغييرات بفعل النبي ﷺ ، كما وتحدث عن المردود الاقتصادي الجديد والمتمثل بالغنائم ، واصفاً لبعض الغنائم المحصلة من الغزوات والسرايا.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسة الحالية: أن الدراسة السابقة تناولت الملامح بشكل مختصر للحياة الاقتصادية في المدينة المنورة قبيل الهجرة وما أحدثته الهجرة من نقلة نوعية في جميع جوانب الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة والدور المحدود للغنائم في بعض الغزوات.

ولم تتعرض الدراسة السابقة: للنشاط الاقتصادي في المدينة المنورة قبل الهجرة بشكل أكثر تفصيل ، ولم تتطرق الى أهمية موقع المدينة المنورة بالنسبة لخطوط التجارة. بالإضافة الى اختلاف منهج البحث حيث أستخدم الدراسة السابقة المنهج المقارن ، بينما تستخدم دراستي المنهج التاريخي والمنهج التحليلي.

بوجه عام ، يمكن تحديد جوانب اختلاف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة فيما يلي :

- 1- تعمل هذه الدراسة على تسليط الضوء بصورة أكبر على النشاط الاقتصادي للمدينة المنورة قبل الاسلام.
- 2- تتطرق هذه الدراسة للعامل الجغرافي للمدينة المنورة ، وكذلك المكونات السكانية بعكس الدراسات السابقة.
- 3- التركيز على النشاط الاقتصادي ، الموارد الاقتصادية ، تسليط الضوء على الحرف والصناعات التي قامت بالمدينة المنورة قبل الإسلام.

منهج البحث:

اتَّبَعَ الباحثان -بتوفيق الله تعالى- في بحثهما:

أولاً: المنهج التاريخي:

اتبع الباحثان - بتوفيق الله تعالى- في بحثهما المنهج التاريخي ، حيث يعتمد على جمع الحقائق التاريخية من خلال مصادر متعددة كالكتب ، والوثائق ، والآثار الحضارية المتنوعة التي يقوموا بدراستهما ، وتحليلها على أسس منهجية ، وإخضاعها إلى معايير دقيقة للنقد والتحقق من صحتها ، وترتيبها على أسس منطقية؛ ليتوصلا إلى الحقائق العلمية. وحيث قام الباحثان باستخدام هذا المنهج من

خلال البحث في كتب السير والمغازي وما يتعلق بها لتصور الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة قبل الإسلام.

ثانياً: المنهج التحليلي:

وهو منهج يعتمد على وصف دقيق لمحتوى النصوص؛ لاستخراج النتائج، دون الحاجة إلى الاستعانة بمصادر معلومات أخرى. وحيث قام الباحثان باستخدام هذا المنهج في تحليل أكبر قدر ممكن من تصور الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة قبل الإسلام، وذلك من خلال المصادر الأولية والثانوية وغيرها من الكتب التي تناولتها، ويتم ذلك بتقصي ما كتب حول هذا الموضوع وتحليله بعد دراسته وفهم محتواه والتأكد من صحته واتفاقه مع أصول والمبادئ الإسلامية. ومن ثم استخلاص الأفكار والمفاهيم الاقتصادية المستنتجة منها.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع، تقسيمه إلى مبحثين مع مقدمة وخاتمة.

المقدمة وفيها: الافتتاحية، وبيان أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، ومشكلة البحث، وفرضيات البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للدراسة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الموقع الجغرافي للمدينة وسكانها.

المطلب الثاني: المهن المتعلقة بالفلاحة.

المبحث الثاني: الصناعات والحرف بالمدينة المنورة قبل الإسلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مدلول لفظي للصناعة والحرفة.

المطلب الثاني: النشاط الصناعي والحرفي في المدينة المنورة قبل الإسلام.

الخاتمة: وتحتوي أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للدراسة.

المطلب الأول: الموقع الجغرافي للمدينة وسكانها

تسليط الضوء على أهم الجوانب التي تكشف عن حال وواقع المدينة المنورة قبل الإسلام، وبيان موقعها وسكانها وخصائصها المميزة، والتي كان لها تأثير على الجانب الاقتصادي في العهد النبوي فيما بعد، ويظهر ذلك جلياً في تهديد أبي جهل لسعد بن معاذ بعيد الهجرة، حيث قال له: ألا أراك تطوف بالبيت آمناً وقد أويتم الصبابة وزعمتم أنكم تتصرونهم وتعينونهم.. " ورد سعد بالتهديد بمنع أبي جهل

من ارتياد المدينة..⁽¹⁾، وفي رواية " لأقطعن عليك متجرك بالشام"⁽²⁾، وهذا يدل على أهمية موقع المدينة بالنسبة للقوافل التجارية القادمة من مكة والمتجهة إلى الشام.

أولاً: موقع المدينة المنورة

كانت يثرب مدينة قديمة كان يقطنها عرب وهي ثاني مدن الحجاز بعد مكة⁽³⁾، وتقع على بعد حوالي (300) ميل إلى الشمال من مكة المكرمة⁽⁴⁾، حتى أنها كانت توصف بأنها أقل من نصف مكة⁽⁵⁾، وهي واحة خصبة التربة غزيرة المياه محصورة بين لابتين بركانيتين تعرفان بالحرتين، حرة واقم في الشرق وحرة السوبرة في الغرب، وتحيط بها الوديان في جهاتها الأربع، وتسيل فيها الأودية من مياه الأمطار، مثل وادي بطحان ووادي مهزوز ووادي رانوءاء، وهي منحدر من الجنوب إلى الشمال، جنات ذات نخل وبساتين تثبت أشجار الفاكهة⁽⁶⁾، ويحدها من الشمال جبل أحد كما يقع على حدها الجنوبي جبل عير، وتكتنف الوديان الحرتين من الشرق والغرب⁽⁷⁾، حيث يصفها ياقوت الحموي على أنها "حرة سبخة الأرض ولها نخيل كثيرة ومياه"⁽⁸⁾. وموقعها الاستراتيجي المهم على المواصلات الرئيسية لتجارة الشام جعل لها شأن اقتصادي واجتماعي.

(1) - البيهقي: للإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي "المعروف بالبيهقي" (ت/458هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تح: عبدالمعطي قلجى، (ط/1)، عام النشر: 1408هـ - 1988م، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت. (ج2/ص465)، (ج3/ص27).

(2) - (م.ن)، (ج3/ص25).

(3) - السهودي، نور الدين علي بن أحمد السهودي، المعروف بالسهودي"، (ت/911هـ)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط/1)، عام النشر: 1419هـ - 1998م، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت. (ج1/ص19).

(4) - الكرخي، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري، "المعروف بالكرخي" (ت/346هـ)، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحسيني - محمد شفيق غريال، عام النشر: 1425هـ - 2004م، الناشر: دار صادر، لبنان - بيروت. (ص23).

(5) - محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، (ط/1)، عام النشر: 1410هـ - 1998م، الناشر: دار المعرفة الجامعية، مصر - الإسكندرية. (ص448 - 450).

(6) - أحمد الشريف، أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، عام النشر: 1424هـ - 2003م، الناشر: دار الفكر العربي، مصر - القاهرة، (م.س)، (ص287 - 288).

(7) - الكرخي، المسالك والممالك، (م.س)، (ص23).

(8) - ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي "المعروف بياقوت الحموي"، (ت/626هـ)، معجم البلدان، (ط/2)، عام النشر: 1416هـ - 1995م، الناشر: دار صادر، لبنان - بيروت، (م.س)، (ج5/ص82).

ثانياً: سكان المدينة المنورة

كان سكان يثرب - قبل هجرة النبي إليها، يتألفون من فئتين هما: العرب واليهود:

1- العرب: كان العرب من سكان يثرب ينتسبون إلى قبيلتين كبيرتين هما الأوس والخزرج، ويرجع نسبهما إلى حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزقييا بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس ابن مازن من قبيلة الأزد القحطانية اليمنية⁽⁹⁾، كانت كل قبيلة من القبيلتين تنقسم إلى خمسة بطون كبرى، انقسمت بدورها إلى بطون أصغر منها وإلى عشائر، حتى بلغت البطون المعروفة من القبيلتين أكثر من أربعين بطناً⁽¹⁰⁾، وبطون الأوس الخمسة: تنسب جميعاً إلى مالك بن الأوس الذي لم ينجب أبوه غيره، وهذه البطون هي: عوف، وعمرو "وهو النبيت"، ومرة "وهم الجعادرة"، وجشم، وامرؤ القيس، وقد استقرت هذه البطون الكبيرة وما تفرع عنها من بطون وعشائر في المنطقة الجنوبية والشرقية، والتي عرفت باسم عوالي المدينة أو العالية⁽¹¹⁾.

أما بطون الخزرج الخمسة: فهي تنسب إلى الخزرج الذي أنجب خمساً من الأبناء جاءت منهم بطون الخزرج، وهم: عمرو، وعوف، وجشم، وكعب، والحارث، وقد استقرت هذه البطون الكبيرة وما تفرع عنها من بطون وعشائر في المنطقة الشمالية الغربية، والتي تعرف باسم سافلة المدينة، بمعنى أن منازل الأوس كانت في منطقة العالية التي عرفت بخصوبتها، وأن الخزرج سكنوا في السافلة التي كانت أقل خصباً، وقد كان لهذا أثره الكبير في توتر العلاقات بين الأوس والخزرج فيما بعد⁽¹²⁾.

2- اليهود: تختلف المصادر التاريخية وكتب الأنساب في قولها بشأن أصول اليهود في المدينة وتاريخ وصولهم إليها واستقرارهم فيها، فهناك من يرى أنهم يهود من أصول عربية، وآخرين يرون أنهم يهود وافدين من خارج الجزيرة العربية، وما يهم في هذا السياق هو التعرف على سكان المدينة من اليهود قبل هجرة النبي ﷺ إليها.

وتشير المعلومات المتوفرة في المصادر الإسلامية، بأن اليهود هم أول من استوطنوا يثرب فقد أورد الاصفهاني في كتابه الأغاني: "فلما قدم بنو النضير، وقريظة وهذل المدينة، نزلوا الغابة فوجدوها وبيئة

(9) - البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت/279هـ) فتوح البلدان، (ط/3)، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت عام النشر: 1408هـ - 1988م، (ص30).

(10) - أحمد الشريف، مكة والمدينة، (م.س)، (ص329).

(11) - (م.ن)، (ص335).

(12) - (م.ن)، (ص335).

فكروها، وبعثوا رائداً أمره أن يلتمس لهم منزلاً سواها، فخرج حتى أتى العالية وهي بطحان ومهزور، واديان من حرة على تلاع الأرض عذبة، بها مياه عذبة، تثبت حُرُّ الشجر، فرجع إليهم فقال قد وجدت لكم بلداً طيباً نزهاً على حرة يصب منها واديان على تلاع عذبة، ومدررة طيبة في متأخر الحرة"⁽¹³⁾.

إن أشهر القبائل اليهودية التي سكنت يثرب هم بنو النضير وبنو قريظة، حيث سكنوا حرة واقم في الناحية الشرقية من يثرب، وهي أخصب المناطق، وهم من يطلق عليهم لقب سكان العوالي⁽¹⁴⁾، وأما قبيلة بني قينقاع فقد سكنت الجزء الجنوبي الغربي من واحة يثرب⁽¹⁵⁾، ومنطقة السافلة، أما بقية قبائل اليهود، فكانت منتشرة في أماكن متعددة من مناطق يثرب الغنية، فبنو بهدل "هدل" وبنو عوف كانوا إلى جوار قبيلة بني قريظة، وتنزل بنو القصيص وبنو ناغضة بقاء، ومنازل بني مريز وبنو معاوية وبنو ماسكة، تقع شمالي وادي مهزور، وبنو زعوراء سكنوا منطقة العوالي قرب مشربة أم إبراهيم، والتي كانت تسمى الملك أو فراقاة النمل⁽¹⁶⁾، وبنو عكرمة "عكوة"، وبنو مرايه، سكنوا طرف حرة واقم شمالي منازل بني حارثة "في الأوس"، بينما كانت ثعلبة وجماعات غيرهم من اليهود يسكنون قرية زهوة بناحية واحة العريض، كما كان يعيش في شمالي يثرب ويقرب جبل أحد جماعات من اليهود⁽¹⁷⁾.

إن مواقع انتشار اليهود في يثرب تشير إلى أنهم كانوا يسكنون أخصب مناطقها وأغناها⁽¹⁸⁾، مما كان له الأثر الفعال في نشاطهم الاقتصادي فيها، ويمكن أن نقول وبشيء من الثقة أن اليهود الذين سكنوا الناحية الشرقية من يثرب أو العوالي كما تسميهم المصادر، كانوا يتمتعون بالغنى والمكانة الاجتماعية المرموقة أكثر من غيرهم الذين سكنوا النواحي الأخرى في يثرب، كذلك سكن اليهود في "خيبر" التي عرفت قبل الإسلام بأنها ريف الحجاز⁽¹⁹⁾، وهي على ثمانية أميال من المدينة لمن يريد

(13) - الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي "المعروف بأبو فرج الأصفهاني"، (ت/356) الأغاني، تح: إحسان عباس وآخرون، (ط/3)، عام النشر: 1429هـ - 2008م، الناشر: دار صادر، لبنان - بيروت. (ج22/ص99).

(14) - ياقوت الحموي، معجم البلدان، (م.س)، (ج5/ص234).

(15) - أحمد الشريف، مكة و المدينة، (م.س)، (ص279).

(16) - ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله الهاشمي البصري، "المعروف بابن سعد"، (ت/230هـ)، الطبقات الكبرى، تح: إحسان عباس، (ط/1)، عام النشر: 1388هـ - 1968م، الناشر: دار صادر، لبنان - بيروت، (ج1/ص279).

(17) - خليل إبراهيم السامرائي: المظاهر الحضارية للمدينة المنورة وعصر النبوة، (ط/1)، عام النشر: 1405هـ - 1984م، الناشر: منشورات مكتبة البسام، العراق - الموصل. (ص18).

(18) - أحمد الشريف، مكة والمدينة، (م.س)، (ص296).

(19) - الواقي، محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، "المعروف بالواقدي" (ت/207هـ) المغازي، تح: مارسدن جونس، (ط/3)، عام النشر: 1404هـ - 1984م، الناشر: عالم الكتب، لبنان - بيروت. (ج2/ص703).

الشام، وتشتمل هذه المنطقة على سبعة حصون، وبها مزارع نخل كثير، وأسماء حصونها: حصن ناعم، والقموص، وحصن أبي الحقيق وحصن الشق، وحصن النطاوة والسالام وحصن الوطيح، والكتيبة، ومن مواقعهم المشهورة أيضاً فذك، وسكانها مثل أغلب يهود الحجاز، وقد امتنهنوا الزراعة واشتغلوا بالتجارة وبعض الحرف التي تخص اليهود مثل الصياغة، والحدادة، والنجارة⁽²⁰⁾.

كانت يثرب تعاني من شطف العيش، وذلك بسبب الحروب الدامية والمستمرة بين الأوس والخزرج، التي قطعت شملهم وزرعت الشحنة بينهم، مما أدى إلى استنزاف الأموال وهدر الطاقات في الحروب التي لا ترجو إفادة منها، وهذا بالطبع أعطى الفرصة السانحة لليهود المتربصين والمستفيدين من تلك الحروب، للسيطرة على الموارد الاقتصادية والتجارية في المدينة المنورة.

المطلب الثاني: المهن المتعلقة بالفلاحة

أولاً: الزراعة

كان أهل يثرب يعتمدون بشكل أساسي على الزراعة، وذلك بسبب طبيعة المنطقة وموقعها الملائم لذلك، ووجود التربة البركانية التي هي من أهم الترب من حيث الخصوبة مما جعلها صالحة للزراعة وهذا النوع من الترب هو ما امتازت به أراضي يثرب، وكانت بساتين يثرب تعرف بالحوائط⁽²¹⁾، وكانت مساحة تلك الحوائط في متوسطها لا تزيد عن مائة ذراع في مثليها، وأن مساحة موضع المسجد النبوي لم تزيد على المائة ذراع في مائة، وكان قبل ذلك حائط لبني النجار⁽²²⁾. وكانت النخيل هي أهم ما يتم زراعته، حيث كان التمر من أهم المحاصيل الزراعية في يثرب⁽²³⁾، وكان أهل مكة يمتازون ما يحتاجون إليه من تمر يثرب، فقد روي أن عبد المطلب بن هاشم بعث ابنه عبد الله بن عبد المطلب إلى يثرب يمتار له تمراً فنزل على أخواله من بني النجار⁽²⁴⁾. ويلي في الأهمية بعد التمر الشعير في الدرجة

(20) - ياقوت الحموي، معجم البلدان، (م.س)، (ج2/ص409).

(21) - ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلب المدني، "المعروف بابن إسحاق" (ت/151هـ)، السيرة النبوية، "الكتاب معروف بسيرة ابن إسحاق" تخ: أحمد فريد المزيدي، (ط/1)، عام النشر: 1425هـ - 2004م، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت. (ج3/ص606).

(22) - انظر: الطبري، أبي جعفر، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، "المعروف بالطبري" (ت/310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، "الكتاب المعروف بتاريخ الطبري"، (ط/1)، عام النشر: 1407هـ.. الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، (ج2/ص397). وأنظر: السموهوي، الوفاء، (م.س)، (ج1/ص322).

(23) - الواقدي، المغازي، (م.س)، (ج1/ص181).

(24) - البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت/279هـ)، انساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد عبد الله، مطبعة دار المعارف، مصر، 1959م، (ج1/ص92)، وأنظر: الطبري، تاريخ الطبري، (م.س)، (ج2/ص246).

الثانية من مزارع يثرب من حيث الكمية والأهمية، ويزرعونه تحت النخل غالباً⁽²⁵⁾، وكانوا يصنعون منه الخبز، ويطعمون منه مواشيهم⁽²⁶⁾، أما القمح فكانت زراعته قليلة، فقد روى ابن حجر عن ابن المنذر قوله: " ولم يكن البر بالمدينة ذلك الوقت إلا الشيء اليسير منه"⁽²⁷⁾، وكانوا يستوردونه من الشام⁽²⁸⁾، وإلى جانب ذلك كانت محاصيل أخرى كثيرة ومتنوعة مثل العنب، الذي كان العنب أوفرها⁽²⁹⁾، يأكلونه رطباً ويابساً ويعتبرونه من غالب قوت البلد لكثرة تداوله بينهم⁽³⁰⁾، ثم البطيخ والرمان والليمون⁽³¹⁾، وهناك أنواع من الخضروات والبقول كالذباء والقتاء والكوسا والبادنجان والفاصوليا والثوم والبصل والكراث والسلق وغيرها⁽³²⁾، ويذكر ياقوت الحموي أنه كان يزرع بالمدينة محصول زراعي يدعى (حبّ البان) ويبدو أن لهذا المحصول أهمية اقتصادية لأهل المدينة، حيث ذكر أنه كان مما يصدر إلى خارج البلدة⁽³³⁾.

(25) - المقرئ: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ " المعروف بالمقرئ " (ت/ ٨٤٥هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، " المعروف بإمتاع الأسماع"، تح: محمد عبد الحميد النميسي. (ط/1)، عام النشر: 1420هـ - 1999م، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت. (ص345).

(26) - أحمد الشريف، مكة والمدينة، (م.س)، (ص293). وأنظر: محمد السيد الوكيل، يثرب قبل الإسلام، (ط/1)، 1406هـ - 1986م، دار المجتمع للنشر والتوزيع، المملكة - جدة. (ص132).

(27) - ابن حجر، للحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، "المعروف بابن حجر" (ت/ 852هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، "الكتاب المعروف بفتح الباري"، تح: محمد فؤاد عبد الباقي - محب الدين الخطيب، (ط/1)، عام النشر: ١٣٩٠هـ - 1970م، الناشر: المكتبة السلفية، مصر - القاهرة، (ج3/ص437).

(28) - الكتاني، محمد عبد الحّي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، "المعروف بعبد الحي الكتاني" (ت/ ١٣٨٢هـ)، نظام الحكومة النبوية، "الكتاب المعروف بالتراتب الإدارية"، تح: عبد الله الخالدي، (ط/2)، الناشر: دار الأرقم، لبنان - بيروت، (ج2/ ص 52-53).

(29) - عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، (ط/3)، عام النشر: 1427هـ - 2006م، الناشر: جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، المملكة - الرياض. (ص338).

(30) - محمد الوكيل، يثرب قبل الإسلام، (م.س)، (ص123).

(31) - (م.ن)، (ص133).

(32) - (م.ن)، (ص133).

(33) - ياقوت الحموي، معجم البلدان، (م.س)، (ج5/ص87).

ثانياً: الرعي وتربية الحيوانات

كانت الثروة الحيوانية ثالث الموارد الاقتصادية من حيث الأهمية عند أهل يثرب، نظراً لكثرة فوائدها وقلة مؤونتها، إلا أن ما كان يملكه أهل يثرب قليل لما تملكه مكة والقبائل العربية منها⁽³⁴⁾، حيث امتلك أهل يثرب ثروة من الإبل كانوا يرعونها مما تنبت من أشجار وشجيرات رعوية⁽³⁵⁾، حيث كانت الإبل أهم المواشي عندهم، وأعزها لديهم، فيها يتفاخرون وعليها يسافرون ويسقون الزرع، ومنها يشربون اللبن ويأكلون اللحم، ومن جلودها يصنعون النعل والقرب وحياض الماء، ومن أوبارها ينسجون الخيام، وكانوا يدفعونها دية للقتلى، ثم الغنم والماعز وكانوا يعتمدون على لحومها وألبانها ويصنعون منها الأقط والسمن، كما كان للخيول مكانة خاصة عندهم، يعتنون بها عناية شديدة نظراً لأهميتها في الحروب والأسفار، تليها البغال والحمير، فهي وسائل للنقل ومناسبة للفلاحة، أما البقر فكانت قليلة عندهم يكرهون تربيتها لاحتياجها إلى الطعام الكثير والخدمة الزائدة، ولا يخلو بيت من بيوت يثرب من بعض الدواجن يستفيدون من بيضها، ويأكلون لحومها، وكانت مهنة الرعي من الأعمال التي كان يمارسها بعض أهل يثرب، فقد كانت لأغنياء أهل يثرب ثروة لا بأس بها من الإبل والماشية والخيول والأغنام⁽³⁶⁾ التي تحتاج إلى الرعي فكانوا يخرجون لرعيتها⁽³⁷⁾، وكانت تلك الماشية تدر على ملاكها أرباح طائلة، وكانت ترعى في المناطق الصالحة للرعي مثل منطقة الغابة⁽³⁸⁾. ولقد عدّ السهمودي اثنتي عشرة منطقة تسرح فيها الماشية حول يثرب، فضلاً عن الغابة والرواحة وأطراف الأودية والشعاب⁽³⁹⁾.

(34) - أحمد الشريف، مكة والمدينة، (م.س)، (ص296).

(35) - المقرئ، امتاع الاسماع، (م.س)، (ج1/ص247).

(36) - ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلى محمد معوض، (ط1)، 1415هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، (ج2/ص5-16)،

(37) - الواقي، المغازي، (م.س)، (ج2/ص538).

(38) - (م.ن)، (ج2/ص538).

(39) - السهمودي، وفاء الوفاء، (م.س)، (ج3/ص1123).

المبحث الثاني: الصناعات والحرف بالمدينة المنورة قبل الإسلام

المطلب الأول: مدلول لفظتي للصناعة والحرفة

وبعد أن استعرضنا تاريخ المدينة المنورة وقبل الخوض في التفاصيل عن الحرف والصناعات في المدينة المنورة في العصر الجاهلي، ينبغي علينا أولاً: التعريف بلفظتي الحرف والصناعات لغة واصطلاحاً.

فالحرفة في اللغة: اسم من الاحتراف وهو الاكتساب، ويقال: هو يحرف لعياله ويحترف،

بمعنى يكتسب من ها هنا وما هنا،⁽⁴⁰⁾

وقيل: الحرفة هي الصناعة، والمحترف هو الصانع، وفلان حريفي، أي مُعاملِي،⁽⁴¹⁾ وحرفة

الرجل صنعته، وحَرَفَ لأهله واحترف، بمعنى كسب أيّاً كان.⁽⁴²⁾

والحرفة في الاصطلاح: الطعمة والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب، وكل ما

اشتغل به الإنسان فإنه يسمى عند العرب صنعة وحرفة، كما ورد في الأثر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: هل له حرفة؟ إن قالوا: لا، سقط من عيني"⁽⁴³⁾.

فالحرفة: تطلق على كل عمل يقوم به الإنسان، فهي طريقة للكسب، ووسيلة للمعاش.

والصناعة في اللغة: هي حرفة الصانع، وعمله الصنعة⁽⁴⁴⁾: ورجل صنيع اليدين، وصنُعُ اليدين

(40) - الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط1)، 2001م، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت، (ج5/ص16)؛ وأنظر: ابن منظور، لجمال الدين محمد بن مكرم "المعروف بابن منظور" (ت711هـ)، لسان العرب، (ط3)، عام النشر: 1414هـ - 1993م، الناشر: دار صادر، بيروت، (ج2/ص839)؛ وأنظر: علي الخزاعي، علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين، الخزاعي، "المعروف بالخزاعي"، (ت789هـ)، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية، تخ: إحسان عباس (ط2)، عام النشر: 1419هـ - 1998م، الناشر: دار الغرب الإسلامي، لبنان - بيروت، (ج793).

(41) - الجوهرى، إسماعيل بن حماد الجوهرى، تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطار، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ط2)، 1399هـ دار العلم للملايين، بيروت، (ج4/ص1343).

(42) - ابن منظور، لسان العرب، (م.س)، (ج2/ص839)؛ وأنظر: الخزاعي، الدلالات، (م.س)، (ج793).

(43) - الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تصوير مكتبة الحياة، بيروت، عن ط. الأولى/1306هـ - مطبعة الخيرية الجمالية، القاهرة، = (ج23/ص124، ص133)؛ وأنظر: جواد علي، جواد محمد علي العقيلي (ت/1408هـ)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط4)، 1422هـ - 2001م، الناشر: دار الساقى، (ج7/ص505).

(44) - الجوهرى، الصحاح، (م.س)، (ج3/ص1245)؛ وأنظر: ابن منظور، لسان العرب، (م.س)، (ج4/ص2508)؛ وأنظر: والخزاعي، الدلالات، (ص794)؛ وأنظر: الزبيدي، العروس، (م.س)، (ج21/ص364).

أي صانع حاذق بعمل اليدين، وامرأة صناع اليدين، أي حاذقة ماهرة بعمل اليدين، وامرأتان صناعتان ونسوة صنّع⁽⁴⁵⁾ والصناع (جمع صانع): وهم الذين يصنعون أو يعملون بأيديهم⁽⁴⁶⁾.

والصناعة بالمعنى الاصطلاحي: عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنّعه، ويكون مما يغير في ذات المصنوع، مثل الحدادة، والصياغة، وفي هذه وأمثالها يسمى المصنوع باسم غير اسم مادته⁽⁴⁷⁾، وعماد الصانع على يديه، يستعملها في صنع الأشياء، ويعتمد على ذكائه في تحويل الأشياء إلى أشياء أخرى، وهي محور الإنتاج في الحياة الاقتصادية⁽⁴⁸⁾.

ويبدو أن مفهوم الحرفة أعم وأشمل من مفهوم الصناعة، حيث يدخل في نطاق الحرفة، كل عمل يقوم به الإنسان، فالحرفة هي "الطعمة والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب"، والاحتراف هو الاكتساب أيًا كان⁽⁴⁹⁾.

وبهذا تكون الحرفة عبارة عن كل وجه يتقلب فيه الإنسان وينصرف للكسب، وتشمل التجارة، والزراعة، والسمسرة، والدلالة، والجلاب، والمنادى، والخياطة، والصياغة، والدباغة، والوراقة، والحدادة، ... الخ⁽⁵⁰⁾.

أما الصناعة فهي عملية تحويل المواد الأولية إلى مواد أخرى أكثر فائدة منها، وهذا يتطلب استغلال ثروات البلاد الطبيعية من حاصلات زراعية، ومعادن وأخشاب وغيرها، وتسخيرها لخدمة الصناعة، كاستغلال القطن والكتان والحريز في صناعة المنسوجات، واستغلال المعادن في صناعة الحدادة والصباغة وغيرها، وهذه الصناعات التحويلية يمكن أن نطلق عليها اسم "الحرف الصناعية" وهي بهذا التعريف تدخل في مفهوم الحرفة. ونجد في مصادر التاريخ الإسلامي ما يؤكد ذلك، فيشير المجيلدي⁽⁵¹⁾ إلى "أهل الحرف والصنائع" ويذكر منهم: الدباغ، والسمسار، والخراز، والصائغ،

(45) - الجوهرى، الصحاح، (م.س)، (ج3/ص1246) ؛ وأنظر: ابن منظور، لسان العرب، (م.س)، (ج4/ص2508)؛ وأنظر: الخزاعي، الدلالات، (م.س)، (ص794).

(46) - الأزهري، التهذيب، (م.س)، (ج4/ص38).

(47) - ظاهر خير الله الشويرى، الحرفة وتوابعها، [مجلة المقتطف، الجزء الأول من (ع29)، عام النشر: 1321هـ - 1904م. (ص57-58) مصر - القاهرة].

(48) - واضح الصمد، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، (م.س)، (ص15).

(49) - ابن منظور، لسان العرب، (م.س)، (ج4/ص2508) ؛ الزبيدي، العروس، (م.س)، (ج23/ص133).

(50) - الشويرى، الحرفة، (م.س)، (ص57).

(51) - المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، تحقيق موسى لقبال، الجزائر، 1970م، (ص83-93).

والخياط، والصفار، والحائك، والنجار، والحداد. ونجد كذلك إشارات عند السقطي،⁽⁵²⁾ حين يقول " ضروب الصناع والعمال " وكذلك عند ابن حيان⁽⁵³⁾ بقوله: " أصحاب الصناعات "، وهي إشارات ربما تشعرونا بعدم وجود فارق بين الحرفة والصناعة.

ومن الأهمية الإشارة إلى ما يتجه إليه بعض الباحثين من جعل الحرف قسمين:

حرف إنتاجية، وجعل على رأسهم: التجار والحدادين والخرازين والحدائين والنجارين والخياطين والقواسين والغزالين والصباغين والدباغين وصناع الأواني.

وحرف خدمية ومنهم: الجزارون والبنائون والسقاؤون والحطابون والحلاقون والحجامون والجمالون والحمارون والمجمرون وصانعو الأطعمة⁽⁵⁴⁾.

المطلب الثاني: النشاط الصناعي والحرفي في المدينة المنورة قبل الإسلام

أولاً: النشاط الصناعي: أما فيما يخص النشاط الصناعي، فقد قامت في يثرب مجموعة من الصناعات الخاصة التي تعتمد على الإنتاج الزراعي المحلي، كما عرفت بعض الصناعات التعدينية كصناعة الأسلحة والآلات المستخدمة في الري والزراعة، فضلاً عن أن فائض الإنتاج الزراعي والصناعي يقتضي تطوير أساليب التجارة لصرفه نحو الخارج⁽⁵⁵⁾، فقد كانت العرب تأنف العمل بها وتحترق من يمتنها بدرجات متفاوتة، لذلك فإن معظم الصناعات كانت بيد اليهود والموالي وبعض الأفراد الوافدة من غير العرب⁽⁵⁶⁾. وفي يثرب قامت صناعات عديدة خاصة تلك التي تعتمد على الإنتاج الزراعي كصناعة الخمر من التمور والمكاتل والقفف من سعف النخيل والنجارة من شجر الطرفاء والأثل، كذلك صناعة التحف المصنوعة من المعادن، مثل الحلبي وأدوات الزينة وصناعة الأسلحة والدروع⁽⁵⁷⁾، ويأتي في مقدمة

(52) - السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي، آداب الحسبة، تح: ليفي بروفنسال - كولان، عام النشر: 1350هـ - 1931م، الناشر: مطبعة إرنست لورو، فرنسا - باريس، (ص9).

(53) - ابن حيان، أبو مروان، ابن حيان القرطبي (ت/٤٦٩هـ)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، عام النشر: 1390هـ - 1970م، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر - القاهرة، (ص20- ص49).

(54) - إلهام أحمد البابطين، الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام، حتى نهاية العصر الأموي، عام النشر: 1419هـ - 1998م، السعودية - الرياض، (ص173-ص205).

(55) - (م.ن)، (ص46).

(56) - جواد علي، المفصل، (م.س)، (ج14/ص193).

(57) - الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، "الشهير بالماوردي" (ت/450هـ)، الإحكام السلطانية، دار الحديث، مصر - القاهرة. (ص197). أنظر: البلاذري، فتوح البلدان، (م.س)، (ص48).

الصناعات، الصناعات المتعلقة بالزراعة وذلك لتطور يثرب في الإنتاج الزراعة، ولكن كان أغلبها بأيدي اليهود، لاسيما بنو قينقاع، إذ كانوا يملكون سوق يسمى سوق قينقاع⁽⁵⁸⁾.

ومن الصناعات المهمة الأخرى التي تعتمد كانت على الإنتاج الزراعي صناعة القفاف، حيث كان من أهل يثرب من يخصص سعف النخيل ويصنع منه أشكالاً متعددة من القفف، فمنها عملوا الزبيل - الزنبيل - الذي كانت المرأة تجعل فيه قطنها، كما صنعوا نوعاً آخر من القفف إذ يجعلون لها معاليق يعلقونها بها في آخره الرجل يلقي الراكب زاده وتمره وهي مدورة كالقرعة، وصنعوا نوعاً آخر من القفف يشبه الزنبيل ولكنه صغير يجتني فيه الرطب وتضع فيه النساء غزلهن، وصنع أهل يثرب من الخوص المكاتل، وكانت تستعمل لحمل التمر والعنب وتستعمل في نقل التراب⁽⁵⁹⁾.

وتعد صناعة الخوص من الصناعات المهمة والمربحة في يثرب، وقد كان سلمان الفارسي عليه السلام قد تعلم صنع الخوص من مواليه في يثرب قبل الإسلام، واستمر يعمل بها بعد إسلامه⁽⁶⁰⁾، دخل عليه قوم وهو أمير المدائن وكان يعمل الخوص وسأله: لم تعمل هذا وأنت أمير يجري عليك رزقك؟، فقال: إني أحب أن أكل من عمل يدي، فضلاً عن أن أهل يثرب كانوا يفتلون الحبال من الصوف والليف⁽⁶¹⁾، وكلاهما يتصل بلوازم المجتمع الزراعي، فالصوف يشير إلى تربية الأغنام، والليف يشير إلى النخيل وبساتين التمر.

ثانياً: النشاط الحرفي: ومن الحرف التي اشتهرت في المدينة ما يلي:

1- التجارة:

لقد أدى وقوع المدينة على الطريق التجاري القديم الممتد بين اليمن جنوباً إلى بلاد الشام شمالاً، أن جعل للمدينة حظاً طيباً في المشاركة بنصيب وافر في التجارة، فقد ساعد موقعها وخصوبة أرضها إلى اتخاذها محطة للتجارة⁽⁶²⁾. مما يدل عليه عندما وقوف أبو جهل بن هشام في وجه سعد بن معاذ عليه السلام

(58) - الزبير بن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي (ت/256هـ)، جمهرة نسب قريش وأخبارها، شرحه وحققه محمود محمد شاكر، (ط/1)، 1381هـ - مكتبة دار العروبة، مصر - القاهرة، (ج1/ص371).

(59) - المكاتل: مفرداها مكئل، وهو الزنبيل الذي يحمل فيه التمر أو العنب.

(60) - أحمد الشريف، مكة والمدينة، (م.س)، (ص376).

(61) - ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي "المعروف بابن عبد البر" (ت/463)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: تح: علي محمد البجاوي، (ط/1)، عام النشر: 1412هـ - 1991م، الناشر: دار الجيل، لبنان - بيروت، (ج2/ص58).

(62) - أحمد الشريف، مكة والمدينة، (م.س)، (ص371).

سيد الأوس عند طوفه بالكعبة وهدده بالقتل ورد عليه سعد ﷺ بأن قال له: أما والله لئن منعني هذا لأمنعك ما هو أشد منه طريقك إلى الشام⁽⁶³⁾.

كانت التجارة من الأعمال الرئيسية التي زاولها أهل المدينة من عرب ويهود، وكانوا اليهود هم المسيطرون على تجارة المدينة وتأتي التجارة بعد الزراعة في الأهمية بالمدينة، وقد تتمثل في تبادل السلع المحلية المختلفة من المنتجات الزراعية والحيوانية ومما يجلب أهل البادية من خيل وإبل وأغنام ومنتجاتها من الألبان والأصواف وغيرها⁽⁶⁴⁾. هذا بالإضافة إلى ما ينتجه صناع المدينة من مختلف الصناعات المعدنية من أسلحة وأدوات وحلي وتحف⁽⁶⁵⁾ وغير ذلك من الصناعات الأخرى التي اشتهرت بها المدينة.

وقد قامت لأجل ذلك أسواق عدة داخل المدينة، لتصريف تلك المنتجات وتبادل السلع، ومن تلك الأسواق التي كانت مشهورة ومعروفة في الجاهلية، وظلت قائمة حتى قدوم الرسول إلى المدينة ونذكر منها:

- سوق زباله شمال المدينة⁽⁶⁶⁾. في الشمال الغربي في منطقة الجرف.

- سوق الجسر أو سوق بني قينقاع⁽⁶⁷⁾. وهو سوق مشهور في الجاهلية.

- سوق الصفاصف بالعصبة⁽⁶⁸⁾. في منطقة قباء.

- سوق الريذه وكان يقال لها أهوى⁽⁶⁹⁾.

(63) - البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت/256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، "الكتاب معروف بصحيح البخاري" تح: مصطفى البغا، (ط/3)، عام النشر: 1407هـ - 1987م، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت. حديث برقم (3950).

(64) - ابن شيبه، أبو زيد عمر بن شبة بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري، أبو زيد (ت/٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة، علق عليه وأخرج أحاديثه: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، 1996م، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، (ج1/ص306). وأنظر: السمهودي، وفاء الوفاء، (م.س)، (ج4/ص228).

(65) - الواقدي، المغازي، (م.س)، (ج1/ص176).

(66) - السمهودي، وفاء الوفاء، (م.س)، (ج2/ص747).

(67) - (م.ن)، (ج4/ص1238).

(68) - (م.ن)، (ج4/ص1252).

(69) - (م.ن)، (ج4/ص1328).

- سوق زقاق ابن حيين وكان يقال لموضعها مزاحم⁽⁷⁰⁾. في الجهة الجنوبية الغربية بين قباء وبطحان.
- سوق بني قينقاع وسط المدينة، وهي أعظم أسواقها تكثرت فيها الحركة، ويسمى منها ضجة البيع والشراء⁽⁷¹⁾.

وسوق بدر المشهور في الجاهلية.

وكانت بعض هذه الأسواق فضاء واسعاً لا بناء فيه⁽⁷²⁾، ومن يسبق إلى السوق فله المحل الذي يضع فيه بضاعته، إلا أن بني قينقاع اتخذوا محلات لهم في سوقهم يبيعون فيها المجوهرات، ويقومون بأعمال الصرافة وتبادل النقود الرومية والفارسية وغيرها. و

كان أهل يثرب ومن جاورهم من البادية يعرضون في هذه الأسواق غلاتهم الزراعية ومنتجاتهم الحيوانية وصناعاتهم اليدوية، فكانوا يبيعون التمر والرطب والشعير والقثاء والسلق والعنب والبطيخ والخمر والحطب واللبن والأقط، والإبل والغنم والمعاول الزراعية والحلى وبعض أنواع الأسلحة وغيرها⁽⁷³⁾.

كما أصبح ميناؤها القديم الجار⁽⁷⁴⁾، منفذاً لها على البحر الأحمر، وهو يقع على بعد 10 كيلو من مدينة الرايس حالياً، وتبعد المدينة عن ميناؤها يوم وليلة، حيث ترسو كثير من السفن التجارية القادمة من الحبشة ومصر واليمن للتبادل التجاري مع المدينة⁽⁷⁵⁾.

وكان عمر بن الخطاب أول من اتخذ الجار ميناء رسمياً للمدينة، ولعل أبرز الأسباب التي قللت خروج أهل يثرب بقوافلهم إلى الأسواق الخارجية انصرافهم إلى الزراعة، وشراؤهم بغيثهم من القوافل

(70) - الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (729 م - 817 هـ)، المعجم المطبوع في معالم طابة، (ط/1)، 1423 هـ - 2002 م، الناشر: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، (ص380).

(71) - ابن شيبه، تاريخ المدينة، (م.س)، (ج1/ص184 - 306). وأنظر: إدريس، مجتمع المدينة، (م.س)، (ص341). وأنظر: الوكيل، يثرب قبل الإسلام، (م.س)، (ص147).

(72) - السهمودي، وفاء الوفاء، (م.س)، (ج2/ص749). وأنظر: إدريس، مجتمع المدينة، (م.س)، (ص341).

(73) - الشريف، مكة والمدينة، (م.س)، (ص366). وأنظر: الوكيل، يثرب قبل الإسلام، (م.س)، (ص148).

(74) - أبو عبيد البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت/٤٨٧ هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (ط/3)، 1403 هـ، الناشر: عالم الكتب، لنان - بيروت. (ج2/ص355).

(75) - (م.ن)، (ج2/ص355).

الكثيرة التي كانت تمرّ بهم، كما أن بعض الواردات من موانئ الجار وينبع كانت تجد طريقها إلى أسواق يثرب⁽⁷⁶⁾

النجارة: من جملة الحرف التي عرفت في المدينة المنورة حرفة النجارة⁽⁷⁷⁾، وذلك لتوفر المواد الأولية من الخشب مثل أشجار النخيل⁷⁸، وهي حرفه تشغل لتوفير متطلبات الناس لقطع الأثاث المنزلي مثل الكراسي والأسرة⁽⁷⁹⁾، بالإضافة إلى عمل أبواب البيوت والنوافذ، وغير ذلك من الأشياء التي يستخدم الخشب في تصنيعها، وقد ساعد على انتشار هذه الحرفة توافر الخشب في المنطقة حيث يكثر شجر الطرف والأثل في الجهة الشمالية من المدينة.

كما كان أصحاب هذه الحرف يثرب يستوردون بعض الأخشاب الثمينة، ويستخدمون في زخرفة الخشب العاج والصدف والفضة والذهب، وقد تفننوا في زخرفة مصنوعاتهم الخشبية، ولا سيما أبواب الأثرياء ونوافذهم وسقوفهم وبعض الأثاث، فعندما جلى بنو النضير عن المدينة حمل بعضهم أبواب بيوتهم المزخرفة وبعض أخشاب سقوفهم مما يدل على قيمتها العالية.

كذلك مما يدل على تميزهم بالنجارة صناعة منبر خشبي للرسول ﷺ يخطب عليه. عن جابر بن عبد الله قال: {أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه؟ فإن لي غلاماً نجاراً قال: إن شئت، قال: فعملت له المنبر⁽⁸⁰⁾، ولقد اختلف على سبعة أسماء من الذي قام بصنع المنبر على وجه الخصوص. وهذا يدل على كثرة عدد النجارين في المدينة خلال العهد النبوي.

الجزارة والدباغة: عن أبو مسعود عقبة بن عمرو ؓ قال: {جاء رجل من الأنصار يكنى أبا شعيب، فقال لغلام له قصاب: اجعل لي طعاماً يكفي خمسة؛ فإني أريد أن أدعو النبي ﷺ خمساً. الخ⁽⁸¹⁾، ويدل هذا الحديث على وجود مهنة الجزارة في المدينة، كما قامت صناعات أخرى

(76) - الشريف، مكة والمدينة، (م.س)، (ص304). وأنظر: الوكيل، يثرب قبل الإسلام، (م.س)، (ص156).

(77) - ابن حجر، الإصابة، (م.س)، (ص16).

(78) - الخزاعي، الدلالات السمعية، (م.س)، (ص705).

(79) - أحمد الشريف، مكة والمدينة، (م.س)، (ص376).

(80) - البخاري، الصحيح، حديث رقم (2095).

(81) - (م.ن) حديث رقم (2081).

اعتمدت على بعض المنتجات الحيوانية، نذكر من تلك الصناعات: دباغة جلود الحيوانات⁽⁸²⁾، وخراجتها⁽⁸³⁾، بعد دبقها لتحويلها إلى أدوات نافعة لاستعمال الناس، كذلك إعداد الصوف وتنظيفه.

ومما يجدر ذكره أن النساء كنّ يعملن في بعض الصناعات السابقة كالدباغة والخراجة والنسيج⁽⁸⁴⁾، ودل على اشتغال النساء بالصناعة حديث عائشة أم المؤمنين: {قال رسول الله ﷺ لأزواجه: أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا، قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتناول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد بطول اليد الصدقة. قال: وكانت زينب امرأة صناعة اليد، فكانت تدبغ، وتخز وتصدق في سبيل الله عز وجل⁽⁸⁵⁾.

وعن ابن عمر قال: "كان عمر رضي الله عنه يأتي مجزرة الزبير بن العوام بالبقيع ولم يكن بالمدينة مجزرة غيرها فيأتي معه بالدرة فإذا رأى رجلا اشترى لحما يومين متتابعين ضربة بالدرة وقال: إلا طويت بطنك لجارك وابن عمك"⁸⁶.

الخيطة: وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، إن خياطا دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس: {فذهبت مع رسول الله ﷺ، فرأيت أنه يتبع الدياء من حوالي القصعة، قال: فلم أزل أحب الدياء من يومئذ⁸⁷، وقال ابن حجر: "فيه دليل أن الخياطة لا تبايع المروءة"، قال العيني: "وفيه جواز أكل الشريف طعام الخياط والصائغ، وإجابته إلى دعوته"، وهذا ما دل عليه حديث عائشة أم المؤمنين: كان رسول الله ﷺ يخطئ ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم⁽⁸⁸⁾.

(82) - ابن حجر، الإصابة، (م.س)، (ج4/ص268).

(83) - (م.ن)، (ج4/ص314). وأنظر: الكتاني، التراتيب الإدارية، (م.س)، (ج2/ص52).

(84) - ابن حجر، الإصابة، (م.س)، (ج4/ص286-314).

(85) - الحاكم: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین (ط1/1398هـ - دار الفكر، بيروت)، رقم الحديث (6960) صحيح على شرط مسلم.

(86) - ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، (ط1)، عام النشر: 1430 هـ - 2009 م تح: إمام بن علي بن إمام، الناشر: دار الفلاح، الفيوم - مصر، (ص266).

(87) - البخاري، الصحيح، حديث رقم (5379) وأنظر: مسلم، الصحيح، حديث رقم (2041) باختلاف يسير.

(88) - أخرجه أحمد (24903)، وأبو يعلى (4876) واللفظ لهما، وعبد بن حميد في (المسند) (1480) باختلاف يسير.

وعن حرفه النساج والحيّاكة ما رواه سهل بن سعد {جاءت امرأة ببردة، قال سهل: هل تدري ما البردة؟ قال: نعم، هي الشملة منسوج في حاشيتها، قالت: يا رسول الله، إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها رسول الله ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره، فجلسها رجل من القوم، فقال: يا رسول الله، اكسنيها، قال: نعم فجلس ما شاء الله في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إياه، وقد عرفت أنه لا يرد سائلاً، فقال الرجل: والله ما سألتها إلا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: فكانت كفنه {⁽⁸⁹⁾.

2- الحدادة: وهي من أهم الصناعات عندهم لاحتياجهم الشديد لها، في صناعة الأسلحة والأدوات الزراعية والمنزلية، حيث كان الحدّادون يصنعون الآلات التي يحتاجها المزارعون في أعمالهم الزراعيّة، مثل الفؤوس، والمحاريث، والمساحي، والمناجل، كما كانوا يجيدون صناعة الأنواع المختلفة من الأسلحة، مثل السيوف، والدروع، والسكاكين، وأدوات الصيد، والقذور، والصحون المختلفة، وغير ذلك من الأدوات المعدنية التي لا غنى للناس عنها في حياتهم اليومية، وقد اشتهر بعض بنو قينقاع بأعمال الحدادة والنحاسية، وكذلك بنو قريظة، حيث أصبح عند اليهود مستودعات مليئة بالأسلحة والأدوات الزراعية. ولقد اشتهرت يثرب بصناعة السيوف والدروع والسهم، أشار طفيل الغنوي إلى صناعة النبل في يثرب التي كانت الأشجار تكثر في غاباتها⁽⁹⁰⁾، وقد استغل اليهود أنفة أهل يثرب والعرب من الاشتغال بالحدادة، فاحتكروها لأنفسهم، وربحوا منها ربحاً طيباً، وذلك بإنتاجهم الأدوات والآلات الزراعية وبصنعهم الأسلحة اللازمة لكل إنسان لحماية نفسه، مثل صنع السيوف والخنجر والدروع. وقد سلحوا أنفسهم بها، كما باعوا منتوجهم لغيرهم⁽⁹¹⁾، ويذكر الواقدي لما أراد المسلمون حفر الخندق استعاروا من بنو قريظة آلة كثيرة من مساحي وكرازين ومكائل ليعملوا بها في حفر الخندق، مما يدل على كثرتها لديهم⁽⁹²⁾.

وعن أنس بن مالك قال: أن رسول الله ﷺ قال: {ولد لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي إبراهيم، ثم دفعه إلى أم سيف، امرأة قين يقال له أبو سيف، فانطلق يأتيه واتبعته، فأنتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخاناً، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا أبا

(89) - البخاري، الصحيح، حديث رقم (5810).

(90) - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، مصر، الإسكندرية، 1967م، (ص405).

(91) - جواد علي، المفصل، (م.س)، (14ص/245).

(92) - الواقدي، المغازي، (م.س)، (1ص/175). وأنظر: السمهودي (م.س)، (4ص/268).

سيف أمسك، جاء رسول الله ﷺ، فأمسك... الخ.⁹³، ويدل هذا الحديث على وجود حرفة الحدادة بالمدينة.

3- الصياغة: واشتهرت المدينة أيضاً بالصياغة وصناعة الحلي والتحف المعدنية المختلفة، ولقد عمل بعض الأنصار في هذه الصناعة⁽⁹⁴⁾، إلا أن اليهود اشتهروا أكثر باحتراف هذه الصناعة⁽⁹⁵⁾، واختص بها بنو قينقاع على وجه الخصوص، حيث كانت الصياغة هي الحرفة الرئيسة لهذا الحي من اليهود، إذ يروى أنهم لم يعملوا بالزراعة ولم تكن لهم بالتالي أراضي زراعية في المدينة⁽⁹⁶⁾، كانت لبني قينقاع سوق كبيرة تنسب إليهم، يبيعون فيها ما يصنعون من مختلف أنواع الحلي والتحف المعدنية وكانت لمصنوعاتهم شهرة واسعة في المنطقة، حيث كانت النساء يأتين إلى سوقهم من مختلف الجهات لشراء ما يرغبن فيه من أنواع الحلي المختلفة⁽⁹⁷⁾. واتخذت المرأة من الفضة بعض حليها، ويبدو أن يثرب كانت من أبرز مراكز الصاغة في الجزيرة العربية، ولا ريب أن وجود اليهود فيها كان عاملاً أساسياً في شهرتها لما لهم من اهتمام بهذا اللون من صناعة الحلي.

4- التعدين: نظراً لوجود المعادن في شبه الجزيرة العربية وخصوصاً في منطقة يثرب وما جاورها، فقد حاول سكانها استخراج تلك المعادن للاستفادة منها في صناعات عديدة كانت لازمة وضرورية لهم في حياتهم اليومية، كما كانوا يشترون الفضة والذهب الخالص من أصحاب المناجم المنتشرة في المناطق المجاورة ليثرب، فقد كان لبني سليم منجم يسمى باسمهم ويعرف حالياً "بمهد الذهب"، "وقد عثرت شركة التعدين السعودية العربية في أثناء بحثها عن الذهب على أدوات استعملها الأولون قبل الإسلام في استخراج الذهب واستخلاصه من شوائبه مثل: رحي وأدوات تنظيف ومدقات ومصاييح، وشاهدت آثار القوم في حفر العروق التي تُكوّن الذهب"⁽⁹⁸⁾، وكان لبني كلاب منجم بالقرب من يثرب يقال له: "الأحسن" وفي مركز الفرع بالقرب من يثرب أيضاً منجم يقال له: "بحران"، بيد أن هذه المناجم لم تكن تفي بحاجات أهل يثرب نظراً لبدائية التنقيب والحفر. فكانوا يشترون ما نقص عن حاجتهم من القوافل التجارية المارة بهم. ويؤكد ذلك ما عثرت عليه شركة التعدين

(93) - البخاري، الصحيح، رقم الحديث (1303). وانظر: مسلم، الصحيح، رقم الحديث (2315).

(94) - جواد علي، المفصل، (م.س)، (ج7/ص50).

(95) - جمال الدين محمد بن أحمد المطري، التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تح: سليمان الرحيلي، عام النشر: 1426هـ - 2005م، الناشر: دار الملك عبد العزيز، السعودية - الرياض. (ص19، 20).

(96) - الواقي، المغازي، (م.س)، (ج1/ص179).

(97) - الشريف، مكة والمدينة، (م.س)، (ص377).

(98) - جواد علي، المفصل (م.س)، (ج1/ص193).

السعودية في أحد مناجم الذهب شمال يثرب، حيث عثر على أدوات ترجع إلى عصر ما قبل الإسلام كانت تستخدم في استخراج الذهب منه⁽⁹⁹⁾.

5- **البناء:** كان أهل يثرب يبنون ما تدعو الحاجة إليه من البيوت والحصون والآطام، مستفيدين من بيئتهم الخاصة في صنع أدوات البناء، لذلك كانت معظم الأبنية في غاية البساطة، جدرانها من اللبن الترابي، وأعمدتها من جذوع النخل، وسقوفها من جذوع النخل وجريدها، بعيدة عن الزخرفة والنقوش، ولكنها تؤدي الغرض الذي بنيت لأجله⁽¹⁰⁰⁾، وكانوا يستعملون الحجارة في بناء الحصون والآطام التي كانت تشتهر بها يثرب.

وبعد هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة قامت حركة عمرانية واسعة، ولعل أولى أمور الصناعة التي اهتم بها المسلمون صناعة البناء، إذ احتاج المهاجرون إلى مساكن يسكنونها في المدينة، فخط لهم النبي ﷺ وحدد لهم الأماكن التي يبنون عليها، كذلك احترف بعض أهل المدينة مهناً أخرى كالخياطة، والجزارة، والحجامة. كما من احترف تعليم الصبيان القراءة والكتابة⁽¹⁰¹⁾، وكذلك يعملون بمهنة الاحتطاب من المناطق القريبة وكذلك كانت السقاية.

(99) - (م.ن) ، (ج7/ص516).

(100) - محمد بن محمود بن الحسن بن النجار (ت/643هـ)، الدرر الثمينة في أخبار المدينة، تح: صلاح الدين بن عباس شكر، (ط1)، عام النشر: 1427هـ - 2006م، الناشر: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، السعودية - المدينة المنورة. (ص153). أنظر: السمهودي، وفاء الوفا، (م.س) ، (ج2/ص199).

(101) - (ابن سعد، الطبقات، (م.س) ، (ج3/ص356). وأنظر: الخزاعي، الدلالات (م.س) ، (ج7/ص71).

الخاتمة: ونستعرض فيها عددا من النتائج والتوصيات

النتائج:

- 1- كان للموقع الجغرافي للمدينة المنورة دور كبير في السيطرة خطوط تجارة القوافل التي تمر بها قديماً، وخصوصاً بين اليمن جنوباً والشام شمالاً، كذلك ساعد الموقع في الاتصال بالعديد من بلدان العالم القديم.
- 2- وجود علاقات تجارية للمدينة المنورة مع الخارج بلغت مرحلة من التطور والتقدم.
- 3- وضع البحث أهمية الزراعة كركن اقتصادي ومورد أساسي في المدينة وشجع نجاح زراعة المحاصيل الزراعية وتنوعها على قيام حركة التبادل التجاري. إن المجتمع في المدينة قبل الهجرة كان مجتمع زراعي بالدرجة الأولى، بسبب وفرة مياهها وخصوبة تربتها.
- 4- إن المدينة المنورة قبل الإسلام، كانت لها نشاطات تجارية وصناعية محدودة وكانت مرتكزة بيد اليهود وذلك لخبرتهم بها.
- 5- كانت لليهود السيطرة والتفوق الاقتصادي على النشاط بالمدينة، وأن الأسواق التجارية كانت تحت سيطرتهم، مما أدى إلى وقوع عدة أزمات اقتصادية في المدينة وإغراق المتعاملين معهم بالديون وذلك بسبب تعاملهم بالربا الفاحش.

التوصيات:

- 1- دراسة التاريخ الإسلامي من الناحية الاقتصادية بشكل أكثر عمقاً والاستفادة منه في الوقت الحاضر.
- 2- تصميم مسارات سياحية تبرز المواقع الاقتصادية القديمة، مثل الأسواق.
- 3- الاستلهام من النموذج الإسلامي في تقليل الأزمات الاقتصادية بناء على دروس من تاريخ المدينة.
- 4- إحياء الحرف التقليدية كجزء من التراث الخاص بالمدينة المنورة.

المراجع والمصادر:

- 1- البيهقي: للإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي "المعروف بالبيهقي" (ت/458هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تح: عبدالمعطي قلعجي، (ط/1)، عام النشر: 1408هـ - 1988م، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت.
- 2- السمهودي: نور الدين علي بن أحمد السمهودي، المعروف بالسمهودي"، (ت/911هـ)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط/1)، عام النشر: 1419هـ - 1998م، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت. (ج/1ص/19).
- 3- الكرخي: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الاصلطخري، "المعروف بالكرخي" (ت/٣٤٦هـ)، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحسيني - محمد شفيق غريال، عام النشر: 1425هـ - 2004م، الناشر: دار صادر، لبنان - بيروت. (ص/23).
- 4- محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، (ط/1)، عام النشر: 1410هـ - 1998م، الناشر: دار المعرفة الجامعية، مصر- الإسكندرية. (ص/448 - 450).
- 5- أحمد الشريف: أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، عام النشر: 1424هـ-2003م، الناشر: دار الفكر العربي، مصر- القاهرة،
- 6- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي "المعروف بياقوت الحموي"، (ت/626هـ)، معجم البلدان، (ط/2)، عام النشر: 1416هـ - 1995م، الناشر: دار صادر، لبنان - بيروت، (م.س)، (ج/5ص/82).
- 7- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت/279هـ) فتوح البلدان، (ط/3)، الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت عام النشر: 1408هـ - 1988م.
- 8- الأصفهاني: أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي "المعروف بأبو فرج الأصفهاني"، (ت/356) الأغاني، تح: إحسان عباس وآخرون، (ط/3)، عام النشر: 1429هـ - 2008م، الناشر: دار صادر، لبنان - بيروت.
- 9- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله الهاشمي البصري، "المعروف بابن سعد"، (ت/230هـ)، الطبقات الكبرى، تح: إحسان عباس، (ط/1)، عام النشر: 1388هـ - 1968م، الناشر: دار صادر، لبنان - بيروت.
- 10- خليل إبراهيم السامرائي: المظاهر الحضارية للمدينة المنورة وعصر النبوة، (ط/1)، عام النشر: 1405هـ-1984م، الناشر: منشورات مكتبة البسام، العراق-الموصل.

- 11- الواقدي: محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، "المعروف بالواقدي" (ت/207هـ) المغازي، تح: مارسدن جونسن، (ط/3)، عام النشر: 1404هـ - 1984م، الناشر: عالم الكتب، لبنان - بيروت. (ج2/ص703).
- 12- ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، "المعروف بابن إسحاق" (ت/151هـ)، السيرة النبوية، "الكتاب معروف بسيرة ابن إسحاق" تح: أحمد فريد المزيدي، (ط/1)، عام النشر: 1425هـ - 2004م، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت.
- 13- الطبري: أبي جعفر، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، "المعروف بالطبري" (ت/310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، "الكتاب المعروف بتاريخ الطبري"، (ط/1)، عام النشر: 1407هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت.
- 14- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البكائري (ت/279هـ)، انساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد عبد الله، مطبعة دار المعارف، مصر، 1959م.
- 15- المقرئزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئزي "المعروف بالمقرئزي"، (ت/845هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، "المعروف بامتع الأسماع"، تح: محمد عبد الحميد النميسي. (ط/1)، عام النشر: 1420هـ - 1999م، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت.
- 16- محمد السيد الوكيل، يثرب قبل الإسلام، (ط/1)، 1406هـ - 1986م، دار المجتمع للنشر والتوزيع، المملكة - جدة.
- 17- ابن حجر: للحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، "المعروف بابن حجر" (ت/852هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، "الكتاب المعروف بفتح الباري"، تح: محمد فؤاد عبد الباقي - محب الدين الخطيب، (ط/1)، عام النشر: 1390هـ - 1970م، الناشر: المكتبة السلفية، مصر - القاهرة.
- 18- الكتاني: محمد عبد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسن بن الإدريسي، "المعروف بعبد الحَيّ الكتاني" (ت/1382هـ)، نظام الحكومة النبوية، "الكتاب المعروف بالتراتب الإدارية"، تح: عبد الله الخالدي، (ط/2)، الناشر: دار الأرقم، لبنان - بيروت.
- 19- عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، (ط/3)، عام النشر: 1427هـ - 2006م، الناشر: جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، المملكة - الرياض.
- 20- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت/256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، "الكتاب معروف بصحيح البخاري" تح: مصطفى البغا، (ط/3)، عام النشر: 1407هـ - 1987م، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت.

- 21- ابن شيبه: أبو زيد عمر بن شبة بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري، أبو زيد (ت/262هـ)، تاريخ المدينة، علق عليه وأخرج أحاديثه: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، 1996م، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت.
- 22- الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (729م- 817 هـ)، المغانم المطابة في معالم طابة، (ط/1)، 1423هـ - 2002م، الناشر: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.
- 23- أبو عبيد البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت/٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (ط/3)، 1403هـ، الناشر: عالم الكتب، لبنان - بيروت.
- 24- ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت/852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، (ط/1)، 1415هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت.
- 25- الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط/1)، 2001م، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت.
- 26- ابن منظور، لجمال الدين محمد بن مكرم "المعروف بابن منظور" (ت/711هـ)، لسان العرب، (ط/3)، عام النشر: 1414هـ - 1993م، الناشر: دار صادر، بيروت.
- 27- علي الخزاعي: علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين، الخزاعي، "المعروف بالخزاعي"، (ت/789هـ)، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تخ: إحسان عباس (ط/2)، عام النشر: 1419هـ - 1998م، الناشر: دار الغرب الإسلامي، لبنان - بيروت.
- 28- الجوهرى: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطار، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ط/2)، 1399هـ دار العلم للملايين، بيروت.
- 29- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحيني، أبو الفيض، الملقب بمترضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تصوير مكتبة الحياة، بيروت، عن ط. الأولى/1306هـ - مطبعة الخيرية الجمالية، القاهرة.
- 30- جواد علي: جواد محمد علي العُقيلي، (ت/ ٤٠٨هـ)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط/4)، 1422هـ - 2001م، الناشر: دار الساقى.
- 31- ظاهر خير الله الشويري، الحرفة وتوابعها، مجلة المقتطف، الجزء الأول من (29)، عام النشر: 1321هـ - 1904م. (ص 57-58)، مصر - القاهرة.
- 32- المجيلدي: التيسير في أحكام التسعير، تحقيق موسى لقبال، الجزائر، 1970م.

- 33- السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي، آداب الحسبة، تح: ليفي بروفنسال - كولان، عام النشر: 1350هـ - 1931م، الناشر: مطبعة إرنست لورو، فرنسا - باريس.
- 34- ابن حيان: أبو مروان، ابن حيان القرطبي (ت/469هـ)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، عام النشر: 1390هـ - 1970م، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر - القاهرة.
- 35- إلهام أحمد الباطين، الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام، حتى نهاية العصر الأموي، عام النشر: 1419هـ - 1998م، السعودية - الرياض.
- 36- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، "الشهير بالماوردي" (ت/450هـ)، الإحكام السلطانية، دار الحديث، مصر - القاهرة.
- 37- الزبير بن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي (ت/256هـ)، جمهرة نسب قریش وأخبارها، شرحه وحققه محمود محمد شاكر، (ط/1)، 1381هـ - مكتبة دار العروبة، مصر - القاهرة.
- 38- ابن عبد البر: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي "المعروف بابن عبد البر" (ت/463)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب تح: علي محمد البجاوي، (ط/1)، عام النشر: 1412هـ - 1991م، الناشر: دار الجيل، لبنان - بيروت.
- 39- الحاكم: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين (ط/1) 1398هـ - دار الفكر، بيروت.
- 40- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، (ط/1)، عام النشر: 1430هـ - 2009م تح: إمام بن علي بن إمام، الناشر: دار الفلاح، الفيوم - مصر.
- 41- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، مصر، الإسكندرية، 1967م.
- 42- جمال الدين محمد بن أحمد المطري، التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تح: سليمان الرحيلي، عام النشر: 1426هـ - 2005م، الناشر: دار الملك عبد العزيز، السعودية - الرياض.
- 43- محمد بن محمود بن الحسن بن النجار (ت/643هـ)، الدرة الثمينة في أخبار المدينة، تح: صلاح الدين بن عباس شكر، (ط/1)، عام النشر: 1427هـ - 2006م، الناشر: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، السعودية - المدينة المنورة.



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة دولية شهرية علمية محكمة
الترقيم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X
الترقيم الدولي الورقي : ISSN : 2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2024	2023	2022	2021	2020	العام
0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	0.0366	معامل أرسيف
1.55	1.25	1.73	1.60	1.60	معامل التأثير العربي